سلسلة تفريغات شبكة بينونة

حقوق كبار السن في الإسلام

الشيخ د. محمد بن غالب العمري

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net
من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

حُقُوقُ كِبَارُ السِّنِّ

في الإسلام

للشيخ

د. محمد بن غالب العمري

– حفظه الله تعالى –

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصَفِيُّهُ من خلقه وخليله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فحياكم الله في هذا اللقاء، أسأل الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يبارك في الجميع، وأن يوفقنا وإياكم إلى مراشد أمورنا، وأن يسددنا في الأقوال والأعمال، وأن يرزقنا الإخلاص والقبول.

الكلام عن الحقوق كلامٌ عظيم؛ لأنه كلامٌ فيما أمر الله -جَلَّ وَعَلَا- به، والكلام عن حقوق الإنسان في الإسلام أمرٌ تكفل به رب العالمين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لم يجعل الكلام فيه للعقول البشرية القاصرة، ولا للاجتهادات المعرَّضة للخطأ والزلل، وإنما تكفَّل -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه، وبما جاء في سنة نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في بيان هذه الحقوق، سواءً حقوق الكبير أو الصغير، أو الرجل أو المرأة، أو القريب أو البعيد، أو المسلم أو غير المسلم، بل وجاءت في الشريعة بيان الحقوق المتعلقة حتى بالحيوان.

قبل أن نتكلم في مسائل الحقوق لا بد أن نتكلم في مسألةٍ مهمة: وهي الاقتداء والاتباع فيما جاءتنا من أوامر، سواءً في الحقوق أو في غيرها، ذلك لأن العبد محتاج إلى التذكير بأهمية العمل بالعلم، كم سمعنا؟ كم قرأنا؟ وكم وصلتنا من مواعظ ومن حكم، ولكن أين العمل بهذا العلم؟

✍ جاء عن ابن مسعودٍ -رَضِيَ الله عَنْهُ وأرضاه- أنه قال: **"كان الرجل مِنّا إذا تعلم عشر آياتٍ لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن"**.

هذا دأب الصحابة -رَضِيَ الله عَنْهُم وأرضاهم- إذا سمعوا الآية من كتاب الله -جَلَّ وَعَلَا-، أو الحديث من سنة رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- منه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بادروا بالعمل، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم.

✍ ولذلك قال الخطيب البغدادي -رَحِمَهُ الله- موصِيًا أهل الإسلام ولا سِيّما طلاب العلم منهم، قال: (**إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العمل بموجبه، فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة**)، ثم قال: (**والقليل من هذا**) أي من العلم (**مع القليل من هذا يُنْجي في العاقبة إذا تفضل الله بالرحمة، وتمم على عبده النعمة**) قال: (**فأما المدافعةُ**

والإهمال، وحبُ الهُوَيْنَا والاسترسال، وإيثار الخَفْضِ والدَّعة، والميل مع الراحة والسعة، فإن خواتم هذه الخصال ذميمة، وَعُقْباها كريهة وخِيمة، العلم يُرادُ للعمل، كما العملُ يُراد للنجاة) ثم قال: (نعوذ بالله من علمٍ عاد كلاًّ، وأورث ذُلاًّ، وصار في رقبة صاحبه غلاًّ).

العمل بالعلم معاشر الأحبة أمرٌ في غاية الأهمية حتى لا يكون نصيبنا من المواعظ مجرد السماع والتَّأَثُّر دون العمل بمقتضى الآيات والأحاديث.

جاءت الحقوق في الشريعة الإسلامية، وجاء الحث عليها سواءً بِذِكْرِ أفراد هذه الحقوق الخاصة، أو بعموماتٍ في الشريعة دالة عليها، وكلامنا اليوم عن حقوق كبار السن، فالسِّنُّ يتفاضل، وهو آيةٌ من آيات الله -جَلَّ وَعَلَا- في الخلق، فَمِنّا من يطول عمره، وَمِنّا من يقصر عمره. هذا يموت في بطن أمه، وهذا يموت بعد ولادته، وهذا يموت شابًّا يافعًا، وذاك يموت شيخًا كبيرًا، والله تعالى قَسَّمَ الأعمار بين العباد لحكمةٍ يعلمها.

قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[غافر:٦٧] الكلام عن كبار السن كلامٌ عن الآباء والأجداد، كلامٌ عن بُناة الأوطان، كلامٌ عن

حُماة الديار، كلامٌ عن أهل الحكمة والخبرة، وكلامٌ عن العادات الصالحة والقِيَم النبيلة.

➢ **قبل البدء ببيان حقوق كبار السن لا بد أن نعرف لماذا نحتاج أنْ نتعلم حقوق الكبار؟**

ذلك لأن الشريعة اهتمت بهم اهتمامًا عظيمًا، وجاءت العديد من الأحاديث التي تبين فضل كِبَر السن مع حسن العمل.

✍ جاء في الصحيح والمسند أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «وَإِنَّ لَا يَزِيد الْمُؤْمِنُ عُمُرُه إِلَّا خَيْرًا»[1].

✍ وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخِيَارِكُم؟ خَيَارُكُم أَطْوَلَكُم أَعْمَارًا إِذَا سُدِّدُوا» وفي رواية قال: «خِيَارُكُم أَطْوَلَكُم أَعْمَارًا، وَأَحْسَنكُم أَعْمَالًا»[2].

✍ جاء أعرابيان إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، قال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧ / ١٢١) برقم: (٥٦٧٣)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٩٣) برقم: (٩١)

عُمرَهُ وَحَسُنَ عَمَلَهُ»[١]، وفي رواية: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمْره، وَحَسُنَ عَمَلَهُ».

✍ وأخرج ابن حبان والحاكم بسندٍ صحيح أنه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُم» كبير السن، «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُم»[٢] فيدخل كبير السن دخولًا أَوَّلِيًّا في هذا الحديث.

❁ **وأوصانا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بكبار السن وصيةً عظيمة فيها تحذير:**

✍ فقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَم صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّر كَبِيرَنَا»[٣] «لَيْسَ مِنَّا» ظاهر اللفظ ليس من أهل الإسلام؛ ولذلك كان بعض أهل العلم يحرص على بقاء هذه اللفظة على ما تدل عليه من الظاهر، ومن فسَّر اللفظة، قال: «لَيْسَ منَّا» يعني ليس من طريقتنا، أو ليس على طريقتنا؛ أي ليس على هدي النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من لم يوقر الكبير.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ١٥٧) برقم: (٢٣٣٠)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ٣١٩) برقم: (٥٥٩)

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ٦٢) برقم: (٢٠٩)

✍ وجاء في رواية: «مَنْ لَمْ يَرْحَم صَغِيرَنَا، وَيَعْرِف حَق كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا».

❁ من محاسن الإسلام أنه راعى كبار السن في أمورٍ كثيرة حتى من غير المسلمين في المعارك، في الحرب بين أهل الإسلام وبين الأعداء.

✍ قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وهو يوصي القادة، قال: «لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا صَغِيرًا، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا».

حقوق كبار السن لا تَنْبَني على المحاصصة، بل تَنْبَني على البذل والعطاء، لا تنتظر أن يعطيك شيئًا، لتعطيه مقابل هذا الشيء، وإنما هي المبادرة منك.

➤ فكبير السن من هو؟

إمّا أن يكون أبًا أو أمًّا، وهؤلاء لهم حقوقٌ عظيمة؛ ولذلك قرن الله -جَلَّ وَعَلَا- طاعتهم بطاعته ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣]، ثم قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء:٢٣].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾[الإسراء:٢٣]؛ لأنهما في الكبر أحوج ما يكونان إلى عنايتك ورعايتك، أحوج ما يكونان إلى النظر إليهما، ومراعاة حقوقهما في كبرهما؛ ولذلك قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا﴾[الإسراء:٢٣] ونهى عن أقل ما يقال في حال التَّأَفُّف والضيق وهي كلمة (أف) فما كان أعلى منها فهو أعظم في الإثم.

✍ جاء رجلٍ إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: "**يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَق النَّاس بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: «أُمُّك» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّك»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّك»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوك»**[1]".

ودعا النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بإرغام أنف من أدرك أبويه ولم يدخلاه الجنة، شخص عاش مع أبويه ولم يكونا سببًا في دخوله الجنة، فالنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- دعا عليه، قال: "**«رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْف، ثُمَّ رَغِمَ أَنْف» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَيْهِمَا، فَلَمْ يَدْخُل الْجَنَّة»**[2]" والحديث في الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١١٠) برقم: (١٤١٩)

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٥) برقم: (٢٥٥١)

✍ جاء في حديث معاوية ابن جاهمة السُّلمي، قال: "أتيت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قلت: يا رسول الله، إنّي كنت أريد الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «وَيْحَك، أَحَيَّةٌ أُمُّك؟» قال: قلت: نعم، قال: «ارْجَع فَبِرَّهَا»، قال: ثم أتيت من الجانب الآخر، قلت: يا رسول الله، إني كنت أريد الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «وَيْحَك، أَحَيَّةٌ أُمُّك؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فَارْجِع إِلَيْهَا فَبِرَّهَا»، قال: ثم أتيته من أمامه، قلت: يا رسول الله، إني كنت أريد الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال: «وَيْحَك، أَحَيَّةٌ أُمُّك؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «وَيْحَك الْزَم رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّة»[1]".

أعظم ما يكون البر بالوالدين في حال حاجتهما، في حال كِبَر السن، وسيأتي بيان الحقوق لهما في ذلك، والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- رغَّب أشد الترغيب في بر الوالدين، جاءت أحاديث في الأب، وجاءت أحاديث في الأم منها ما ذكر، ومنها:

---

(١) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨ / ١٤٩) برقم: (١٦١)

✍ قوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «الْوَالِد أَوْسَط أَبْوَاب الْجَنَّة، فَحَافِظ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ اتْرُك»[١].

✍ وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «رِضَا الرَّب فِي رِضَا الْوَالِد، وَسَخَط الرَّب فِي سَخَطِ الْوَالِد»[٢]. والله حديث عظيم.

❋ **قد يكون كبير السن من ذوي الرحم**: العم، أو الخال، أو ابن العم، أو ابن الخال، أو يكون الجد، والجد في مقام الأب، وجاءت الشريعة ببيان أهمية صلة الأرحام.

✍ قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «صِلَةُ الرَّحِم مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ» أي زيادة في المال والرزق، «مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ»[٣]؛ أي سببٌ لطول العمر.

✍ وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «صِلَة الرَّحِم، وَحُسْن الْخُلُق، وَحُسْن الْجِوَار يَعْمُرَانِ الدِّيَار، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَار»[٤].

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٦٧) برقم: (٤٢٥)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٧٢) برقم: (٤٢٩)

(٣) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ٨٩) برقم: (٣٠١)

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (١١ / ٦٠٩٥) برقم: (٢٥٨٩٦)

✍ والله -جَلَّ وَعَلَا- يقول كما في الحديث القدسي: «أَنَا الله، وَأَنَا الرَّحْمَن، خَلَقْت الرَّحِم، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَه، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّه»(١).

قد يكون كبير السن جارًا لك: وجاءت الوصية بالجار.

✍ قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «ما زَالَ جِبْرِيل يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُه»(٢).

✍ وقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في بيان أهمية صلة الجار، وأنه أحق من غيره بأمورٍ عدة جاءت بها الشريعة حتى قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَار»(٣).

بل لو كان هذا الكبير في السن من غير المسلمين، فإن كان جارًا فله حق الجوار، وإن كان قريبًا فله حق القرابة، وإن لم يكن له شيء من ذلك، فله حق

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٦) برقم: (٥٩٨٩) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٧) برقم: (٢٥٥٥)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠) برقم: (٦٠١٥) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٣٧) برقم: (٢٦٢٥)

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١١ / ٥٨٥) برقم: (٥١٨٢)

أن تدعوه إلى الله -جَلَّ وَعَلَا-، وأن تحسن إليه، وأن تعامله بما أمر به الإسلام من محاسن الأخلاق، ومعالي الصفات.

✍ والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «لَأَنْ يَهْدِي الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَم»(١).

➤ إذن، ما هي حقوق كبار السن؟

الحقوق كثيرة، من ذلك:

⇦ التبجيل، والإجلال، والاحترام، والتقدير، فإن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: «إِنَّ مِنْ إِجْلَال الله إِكْرَام ذِي الشَّيْبَة الْمُسْلِم»(٢)، وهذا ما كان من سيرته -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في إكرام كبار السن، في يوم الفتح جاء والد أبي بكر إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فقال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لأبي بكر: «هَلَّا تَرَكْت الشَّيخ فِي بَيْتِه حَتَّى أَكُون أَنَا آتِيهِ فِيه» يعني النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يأتي إليه.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ٤٧) برقم: (٢٩٤٢)

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤١١) برقم: (٤٨٤٣)

⇦ التقدير لِكِبَرِ السِّنْ للجهود التي قام بها، هذا من كريم الأخلاق، ومما حَثَّ عليه الإسلام، ولذلك مر معنا في الحديث: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّر كَبِيرَنَا».

⇦ كذلك من حقهم علينا رد الجميل لما قاموا به، كبار السن عاشوا حياة بنوا فيها وأقاموا الأُسَر، وكانوا سببًا في وجودنا، وتعبوا وناضلوا، وقاموا بأمورٍ عظيمة، مَهَّدوا لنا الطريق، حقهم علينا أن نرد لهم الجميل، بماذا؟ بالتعامل الحسن، بحسن الأدب، بمعرفة القدر، بإنزالهم في المنازل التي يستحقونها؛ ولذلك جاء الإكرام لهم بالشريعة في أمورٍ كثيرة، من ذلك:

➢ المبادرة بالسلام عليهم، فالصغير يسلم على الكبير كما قال -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يُسَلِّم الصَّغِير عَلَى الْكَبِير، وَالْمَار عَلَى الْقَاعِد، وَالْقَلِيل عَلَى الْكَثِير»[1] والحديث في الصحيح.

➢ وأن نحسن إليهم، فالنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- له قصة مع المِسْوَر بن مخرمة، وهو أن المسور جاء مع أبيه إلى رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فجاء الأب وهو مَخْرَمة إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يطلبه قَباء -لباس- ، فلما وقف على باب النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فقال مخرمة لابن: ادعُ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٥٢) برقم: (٦٢٣١)

النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، قال: فسمع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- صوته وهو فقط ينادي، فأخذ النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قباء، فتلقاه به واستقبله بِأَزْراره؛ يعني جاء إليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قبل أن يطلب منه؛ إكرامًا له لِسِنِّه، فقال: «يَا أَبَا الْمِسْوَر خَبَّأْتُ لَكَ هَذَا»؛ أي هذا القَبَاء، قال: «يَا أَبَا الْمِسْوَر خَبَّأْتُ لَكَ هَذَا»(١).

➢ من حقهم علينا كبار السن الدعاء لهم، الدعاء لهم بالعافية، الدعاء لهم بطول العمر، الشكر لهم على ما قدموه في حياتهم، الاسْتِئْناس بحديثهم، الجلوس معهم، الإنصات إليهم وعدم التَّأَفُّف أو التَّمَلُّل، البعض يظن أن كبير السن ربما ليس له خاطر، أو ليس له شعور، ربما أطلق في حقه كلمة نابئة، أو فعل خُلُقًا ذميمًا، كبير السن يحتاج من التقدير أكثر من غيره؛ ولذلك ينبغي مراعاتهم حتى في الخطاب؛ ولذلك قيل: لا ينبغي أبدًا للولد أن ينادي أباه باسمه، فإنّ هذا من العقوق، بل يناديه بأحب ما يريد أو يرغب المناداة به، إن كان يحب المناداة بالكنية ناداه بكنيته، وإن كان يحب المناداة بالأُبُوَّة ناداه: يا أبي، يا أبتي، ونحو ذلك، فإن هذا من الأدب، إن لم يكن هو أبوه

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٦٠) برقم: (٢٥٩٩)

ناداه بما يقتضيه المقام: يا عم، يا والد، ونحو ذلك من الألقاب التي تدل على حسن الأدب، وعلى جميل الخطاب.

➢ كذلك من حسن الأدب معهم في مجالستهم: أخذ الخبرة عنهم، والتحدث معهم عن الماضي الذي يَسُرُّهُم ويسعدهم، والاستئناس بحديثهم. ربما كبير السن قد يحدثك بالقصة الواحدة مئة مرة اسمعها منه، وكَأَنَّك تسمع في كل مرةٍ يحدثك بها كأنها أول مرة، وأنت منصت، وفي قلبك من الفرح والسعادة والأُنْس؛ لأن هذا يسعده، لا تتأفف، عندما كنت صغيرًا تبدأ بالنطق، وتنطق الكلمة التي ربما تنادي بها فتقول: بابا. يفرح الأب، وتفرح الأم، وتُتَمْتِمْ بكلمات لا تقل فيها شيئًا، غير مفهومة، وهما يستمعان لك بإنصات وبفرح، وبسعادة، فمن حَقِّهما عليك أن تستمع إليهما وأنت مقبلٌ إليهما غير مدبرٍ عنهما، مبتهج بكلامهما، فرحٌ بسماعهما، تجلس وأنت مستمع ومنصت لا تتشاغل بشيء أبدًا، فهذا المجلس لهما، ليس لغيرهما. هذا من حسن الأدب، هذا من البِرْ، هذا من الإكرام، هذه من الأخلاق الطيبة التي جاء بها الإسلام، وحَثَّتْ عليها الشريعة.

✍ لما دخل عدي بن حاتم -رَضِيَ الله عَنْهُ- على عمر هو كبير عدي بن حاتم، قال لعمر: **"ألا تعرفني؟"** حفظ له عمر مكانته، قال له عمر -رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ-: **"أعرفك، أقمت إذ كفروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا"**. هذه كلها من محاسن عدي بن حاتم.

"أقمت إذ كفروا" ثبت على الدين، **"ووفيت"** لهذا الدين، وللنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- **"إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا"**.

➢ من حقهم علينا التلطف في العبارة المزاح اللطيف الذي يسعدهم، ولا يُنَغِّصْ عليهم، نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لم ينسى هذا الأمر لكبار السن، لما طلبت منه العجوز أن يدعو لها، قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخلهَا عَجُوز»[1] فَتَوَلَّتْ المرأة، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخلهَا وَهِيَ عَجُوز، إِنَّ اللهَ يَقُول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)﴾[الواقعة:٣٥-٣٦]» يداعبها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يَتَلَطَّفُ معها.

➢ من حَقِّ كبار السن علينا حتى في أمر العبادة أن نخفف الصلاة إذا كانوا خلفنا رِفْقًا بهم؛ ولذلك قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ مِنْكُم

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل (٢٤٠)

مُنَفِّرِين، فَأَيكُم مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلِيَتَجَوَّز، فَإِنَّ فِيهِم الضَّعِيف وَالْكَبِير، وَذَا الْحَاجَة»[١].

➢ من حقهم علينا إشغالهم بما ينفعهم: للأسف بعض الأبناء يتداول أمر الاعتناء بأبيه أو بأمه بين العمالة المستخدمة، يضع لأمه خادمة تعتني بها، ويضع لأبيه سائقًا يعتني به، أو عاملًا يعتني به. **هل هذا من البر؟** ليس هذا من البر، من البر أن تُباشر بنفسك هذا الأمر، وأن تفرح بخدمتهما، وأن تسعد بذلك، ليس استعمال العمالة أمرٌ ممنوع، ولكن ينبغي للإنسان أن يكون مبادرًا في ذلك، أن يفرح هو، ولا سيما فيما يتعلق بنظافتهما، والاعتناء الخاص بهما، فينبغي أن يفرح الابن بخدمة والديه، ولا سيما في كبر السن، وألا يشغلهما بما لا يعينهما على الطاعة، إذا أراد أن يشغل الأب أو الأم أتى لهما بتلفاز، وقال: هذا الريموت، وهذه القنوات.

✍ النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «أَعْمَار أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّين وَالسَّبْعِين»[٢] وقليل من يتجاوز ذلك، أو من يجاوز ذلك، إذا بلغ الأب، أو بلغت الأم الكبر، فينبغي هنا أن يعينهما على طاعة الله -جَلَّ وَعَلَا-.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٣٠) برقم: (٩٠)

(٢) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٧ / ٢٤٦) برقم: (٢٩٨٠)

أخبرني أحدهما مرة: أن قريبًا له كبير في السن كان يجلس في المسجد ما عنده أحد يعتني به، فإذا صلى العشاء رجع إلى بيته ونام، وقبل صلاة الفجر قدِمَ إلى المسجد، فلام الناس أبناءه، لماذا لا تَعْتَنون بأبيكم؟ هذا يذهب للعمل، وهذا يذهب لكذا، وهذه منشغلة بأبنائها، ونحو ذلك. فقام أحدهما وابتكر حَلًّا، وأتى لأبيه بجوال، قال له: خذ هذا، هذا فيه اليوتيوب، وهذا فيه كذا، وافتح وشاهد. يقول هذا الأخ: فترك الرجل المسجد، وبقي في البيت مبتلى بهذه الأجهزة. هل هذا من الإكرام؟ كان في حاله الأول في حالٍ أفضل، وفي خير، وفي نعمة. وهل أنت جلست معه أو أحسنت إليه، أو أشغلته فقط، في ظنك أنه سيبقى في البيت مدة أطول، بقاءه في المسجد خيرٌ له.

➢ من حق كبير السن علينا أن نساعده؛ ولذلك لما ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا- قصة نبي الله موسى، ذكر أمر المَرْأَتَيْن، قال -جَلَّ وَعَلَا- عن موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[القصص:٢٣]

✍ **قال أهل التفسير: (﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ يعني لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه، وأمر السقيا)** فلذلك من حُسْن بر هاتين المرأتين الأختين بأبيهما أنهن جاءتا إلى هذا البئر يسقيان، قالتا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[القصص:٢٣] فسقى لهما موسى -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

➢ من حق كبار السن المعاملة اللَّيِّنَة بما يقتضيه المقام؛ ولذلك ماذا قال إخوة يوسف ليوسف؟

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:٧٨] وصفوا آباهم بثلاث صفات، تقتضي كل هذه الصفات الترقيق عليه، والعطف، والرحمة به:

- وهي حنان الأُبُوَّة ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا﴾[يوسف:٧٨].
- ووصف الشيخوخة.
- واستحقاقه جبر خاطره لأنه كبير قومه، أو لأنه انتهى في الكبر إلى أقصاه.

أتوا بهذا الخطاب الذي يدل على كبر سن الأب بما يقتضي من يوسف -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- الشفقة، وهذا يدل على أن هذا الأمر مُتَرَسِّخ في النفوس، وهو التلطف، والرحمة بكبير السن.

لا تنتظر ولا سيما في أمر الأبوين، لا تفرح أنّ أخاك، أو أنّ أختك تقوم بِبِرِّهِما، فهذا رزقٌ رزقهم الله -جَلَّ وعلا- إيّاه، وحُرِمْتَ منه، حينما تفرح بأنهما قد أسقطا عنك الواجب، أو قاما مقامك، فأنت ما قمت بهذا الأمر الذي هو نعمة من الله -جَلَّ وَعَلَا- عليك، الصبر في الاعتناء بهما، الاستئناس بحديثهما، الجلوس معهما، النظر إليهما، العناية بصحتهما.

➢ كذلك مما يدل على العناية بكبار السن عمومًا سواءٌ كانوا آباءً أو أمهات، أو غير ذلك مما تقدم معنا الكلام عن أصنافهم، ما جاء عن ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ وأرضاه وعن أبيه- أَنَّهُ جاء إلى زيد بن ثابت الصحابي الجليل، فأخذ بركابه، قال: **"تنحى يا ابن عم رسول الله"**. زيد بن ثابت يقول لابن عباس: **"تنحى"**. ابتعد، قال له ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُما-: **"إنما هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا"**؛ أي من الاحترام، ومن التقدير، والتوقير.

➢ من حَقِّ كبير السن علينا أن يُقدَّم في أمر السير في المدخل، في المخرج، في المجلس، في السلام عليه، في غير ذلك؛ ولذلك جاء عن ابن عمر عن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنه قال: «أُرَانِي فِي النَّوْم أَتَسَوَّك بِسِوَاك، فَجَذَبَنِي رَجُلَان أَحدهُمَا أَكْبَر مِنَ الْآخَر، فَنَاوَلْت السِّوَاك الْأَصْغَر مِنْهُمَا،

فَقِيل لِي: كَبِّر، فَدَفَعْتَه إِلَى الْأَكْبَر»[1] هذه مسألة مهمة؛ لأن هذا من التقدير للكبير، من التقدير للكبير أن يَتَقَدَّمَ عليك في مدخلٍ أو في مخرج، أو في ركوب سيارة، أو نحو ذلك. هذا من حقه.

➢ من حقه أنك إذا جئت إلى المجلس أن تبدأ بالكبير تسلم عليه، وتُقْبِل عليه، وترحب به.

➢ ومن حقه أنه إذا جاءك زائرًا أن تقوم معه، وأن تودعه إلى مركبه.

➢ وأن تساعد الكبير دون النظر أو الانتظار منه إلى طلب المساعدة، فإنّ الكبير ربما يُحْرَجْ في مسألة المساعدة، إذا كان يمشي فأنت تأتي وتأخذ بيده دون أن يطلب منك، فإنّ كثيرًا من كبار السن يَعِزْ عليه أمر الطلب، وربما يجاهد نفسه على القيام بعمل ولا يطلب من أحد، فينبغي لك أن تكون فَطِنًا، سواءً كان جارًا، أو كان قريبًا، أو كان غريبًا، أو كان أحد الوالدين، أو غير ذلك، أنت بادر إلى المساعدة، لا تطلب، ولا تنتظر السماع، بعضهم ينتظر، هو يعرف أنهما بحاجة إلى أمر، يقول: ما طلبا مني، وإذا طلب منه الأمر جاء متململًا، ومتضايقًا. هذا ليس من البر في شيء.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٥٨) برقم: (٢٤٦) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٥٧) برقم: (٢٢٧١)

كان يعض السلف يا إخوة، إذا يأكل مع أمه ينتظر حتى تأخذ الأم لقمتها من الصحفة، **لماذا؟** كان لا يسابقها في شيء، حتى في أمر الطعام، يقول: ربما وقع نظرها على شيء فأخذته أنا، فبعد أن تأكل هي هو يأتي ويأكل، هذا من حسن البر.

إذن من جميل المعاملة مع كبار السن: أن تنظر في حاجته مراعيًا في ذلك أمر صحته، ومراعيًا أمر حالته.

ثم أمرٌ آخر: لا تأتِ إلى كبير السن مُعَلِّمًا، كبير السن صاحب خبرة، وهو الذي عَلَّمَ أجيال، سواءً كان معلمًا، أو كان أبًا وقد تَرَبَّتْ الأسرة على يديه، فإذا كبر في السن تأتي أنت إليه بخطاب المعلم: لا تفعل، افعل. هذا ليس من الأدب في شيء، تعالى إليه متواضعًا، مُقَدِّمًا العبارات التي تليق بالمقام، تقول: لَعَلَّ الأفضل كذا، أيش رأيك نفعل كذا؟ أليس من الأحسن أن تفعل كذا؟ وتجعل الأمر له هو، لا أن تأتي إليه آمرًا له، فإن هذا ليس من الأدب أبدًا، ولا سيما فيما يتعلق بالأبوين في البيت.

كذلك من الأمور المهمة جدًّا: احتمال رَدّات الأفعال من كبار السن: ربما يعلو صوته عليك، أو ربما يكون في حالةٍ نفسية فَيُسيء إليك، قابل الإساءة بالإحسان، قابل الكلام الشديد بالمعاملة اللطيفة، قابله بالابتسامة

الطيبة التي لا يُفْهَمْ منها السخرية، قابله بما يُطَيِّبْ الخواطر ويجبرها، ويسعد الأب، أو يسعد كبير السن: الجد، أو الجار، أو غير ذلك.

هذه جملة من الحقوق، وبعد هذه التطوافة لا بد أن نعلم؛ إن طالت بنا الأعمار معاشر الأحبة سنكون نحن كبار سن، وكما تدين تدان، و﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾[الرحمن:٦٠] حينها ستفرح إذا علم الأبناء حقنا، وإذا تعلموا ما نحتاج إليه في ذلك الوقت، وإذا فهموا متطلباتنا، فاعرِفوا لكبار السن حقهم، أحْسِنوا التعامل معهم، راعوا نفسياتهم وأحوالهم، عَلِّموهم بتواضع، اسمعوا منهم، آنسوهم بالحديث، اصبروا على كلامهم، أقبلوا عليهم.

لحظات اللقاء بهم والاجتماع معهم ستذهب، وهم سيذهبون رُبَّما قبلك أو أنت قبلهم، وستبقى هذه الذكريات إن أحسنت إليهم في حال وجودهم لن تندم على كلمةٍ نابئةٍ قلتها، أو على فعلٍ قبيحٍ فعلته، **لماذا؟** لأنك كنت صبورًا ورحلوا عن الدنيا وهم راضون عنك، فرحون بك؛ لأنك كنت سعيدًا بهم، فَرِحًا بوجودهم، قريبًا منهم محبًّا لهم.

قولوا لهم بلسان الحال، ولسان المقال: أنتم كبار نعم، لكنكم كبارٌ في أعيننا، وكبارٌ في قلوبنا، وكبارٌ ملأ أسماعنا وأبصارنا، أنتم كبارٌ في أخلاقكم،

وكبارٌ في أعمالكم، وكبارٌ في أفعالكم، وكبارٌ في نتاجكم، وكبارٌ في جهادكم، وكبارٌ في بذلكم وعطائكم، تَعِبْتم، وَرَبَّيْتم، وَشَيَّدْتُّم، وأنرتم بفضل الله – جَلَّ وَعَلَا– لنا الطريق، فسلكنا دروبًا بعدكم مهيأة فلا نجازيكم إلا الدعاء أن يطيل الله –جَلَّ وَعَلَا– في أعماركم، وأن يحسن في أعمالكم.

كبارُ السّن هم حقًّا كبارُ ... هم الأخلاق حقًّا والوقار

لهم في القلب إحسانٌ وودٌّ ... وإكرامٌ لهم في القلب دار

إذا قابلتهم فاليوم سُعْدٌ ... وإن غابوا علا في الصدر نار

فحياهم إله الكون جمعًا ... قرابتنا وصحبٌ ثم جارُ

وصلِّ يا إله الخلق دومًا ... على المختار ما صح النهار

اللهم صلِّ وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وجزاكم الله خيرًا على الحضور، وبارك الله في الجميع.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https://appsto.re/sa/gpi5eb.i
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】
https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】
https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم
لأجهزة الأيفون
https://goo.gl/Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem

【 تيك توك TikTok 】
https://tiktok.com/@baynoonanet

【 في كي Vk 】
https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/669392171-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية

【 ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet

【 تشينو chaino 】
https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a

【 بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/

【 سناب شات Snapcha 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet

【تطبيق المكتبة】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL

【تطبيق الموقع】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
ـقريباً بإذن اللهـ

【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية